
وزارةُ الثَّقافَة
الهيئة العامّة السّوريّة للكتاب
مديرية منشورات الطّفل

مكتبة الطفولة
٧٦

رحلةُ الإسفنجاتِ المُلوّنة

قصّة: أدريانا إبراهيم
رسوم: أحمد حاج أحمد



مكتبةُ الطُّفولة

سلسلة قصصيّة موجّهة إلى اليافعة

رئيس مجلس الإدارة

وزيـــرةُ الثَّقافـــة

الدكتورة لبانة مشوّح

الإشراف العامّ
المدير العامُّ للهيئة العامّة السّوريّة للكتاب
د. ثائر زين الدين

رئيس التحرير
مدير منشورات الطفل
قحطان بيرقدار

الإشراف الطّباعيّ
أنس الحسن

الإخراج الفنّي
حنان الباني

تموز ٢٠٢١م

رحــلةُ
الإسفنـجات الـمُلوّنة

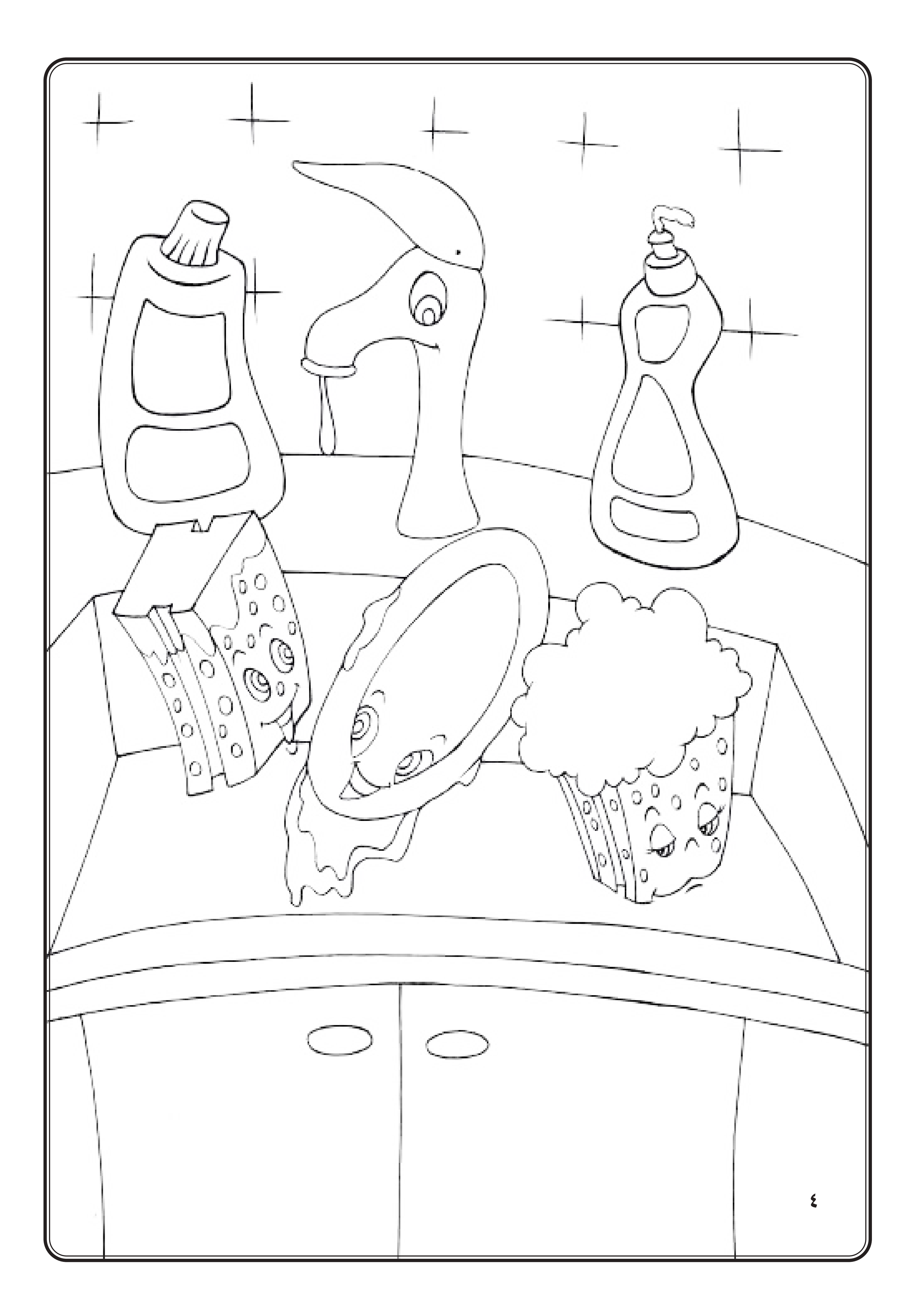
قصّة: أدريانا إبراهيم

رسوم: أحمد حاج أحمد

تَعالوا نُلوِّنْ مَعاً:

أَصْدقائي!

في القِصَّةِ رُسومٌ، أسهموا معنا في تلوينها لتصيرَ أحلى.



كانَ هُناكَ إسفنجتان مُلوّنتان تَسكُنانِ المجلى الرُّخاميّ في مطبخ أحد البيوت. الإسفنجةُ الحمراء لولو تُزيلُ بقايا الطعام عن الأواني، فتبقى روائحُهُ عالقةً بها على الرغم من أنّها تُغسَلُ دائماً، أمّا الزّرقاء ميمي فهي تُنظّفُ الأواني بسائل الجلي المُعطّر، فتبقى رائحتُها طيّبة.

في أحد الأيام، أزالتْ لولو بقايا الدّسم العالقةَ بالصَّحن، فشكرَها قائلاً: شكراً لك! لقد أرَحْتِني من تلك اللزوجة.

قالت لولو: لا شُكرَ على واجب، لكن انتظرْ دورَ ميمي، فهي من ستُريحُكَ تماماً.

وبدأتْ ميمي المُشبَعةُ بالرّغوة والرائحة الزكيّة تُدلِّكُهُ، فراحَ يُقَهْقِهُ ويتمايل، فقالت بنبرةٍ حادّة: ما بك أيُّها الصّحن؟ اهدأ!

قال الصَّحنُ: إنكِ تُدَغدِغينَني، هاهاهاها...

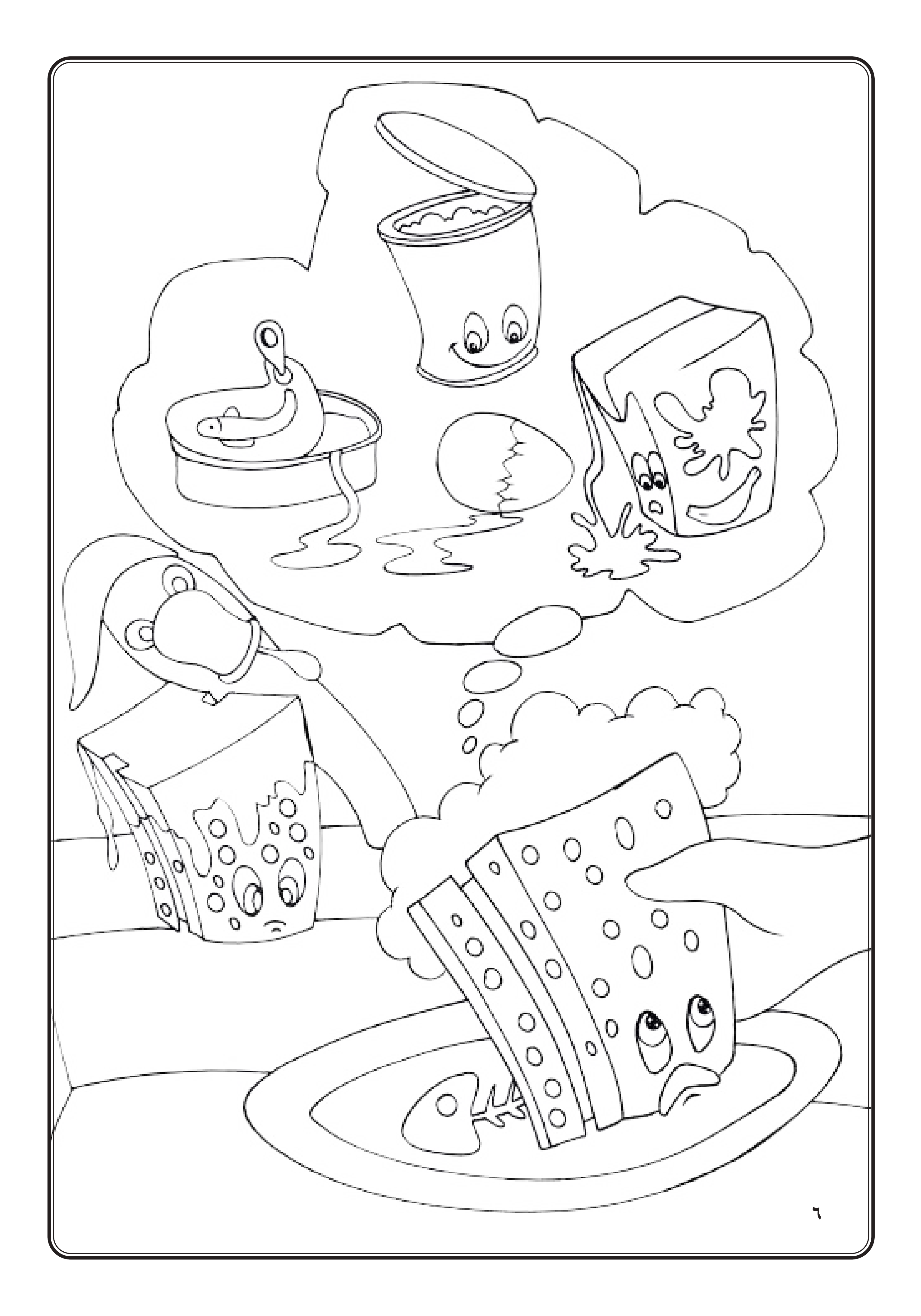
صرختْ ميمي: تمالكْ نفسَك حتّى لا تُفلِتَ، فتنكسر.

قالَ الصَّحنُ، وهو يُقَهْقِهُ: سأُحاول. هيّا أسرعي!

أسرعتْ ميمي، ونظّفتْ أرجاءَ الصحن كُلّها، وهي تُردِّدُ: حاذِرْ! اثبت!

لمّا عادَ البريقُ إلى الصحن شكرَها، وهو لا يزالُ يضحك، وجلسَ بين الصُّحون مُنتشياً برائحة الخُزامى.

أطلقتْ ميمي زفرةَ تأفُّف، وقالتْ بتعالٍ: هيه أنت يا لولو! ما هذه الرائحةُ التي تنبعثُ منك؟ ولماذا أنت مُتّسخة؟



انظُري إلـيّ! لـوني جميـلٌ، ورائحتـي طيّبـة. كلّ أسـبوع رائحـةٌ جديـدة: صنوبـر، خُزامى، ليـمون... أمّـا أنـتِ ففـي كلِّ مـرّة رائحـةٌ مزعجـةٌ مختلفـة: حليـب بيـض، زُبـدة، سـمك... أف! لقـد مللـتُ ذلـك.

قالـت لولـو: هـذا صحيـح، لكـنْ تذكّـري جيّـداً، يـا ميمـي، أنّ الفضـلَ في ذلـك يعـودُ إلـيّ، فأنـا أُزيـلُ البقايـا مـن طريقِك ليَسهُـلَ عليـك التنظيـف، وليبقـى لونُـكِ صافيـاً، ورائـحـتُكِ مُـنعشة.

أجابـت ميمـي: الفضـلُ يعـودُ إليـك؟! هـا هـا هـا... هـذا غيرُ صحيـح.

شـعرتْ لولـو بـأنّ الحـوارَ سيكونُ دُونَ جـدوى، فسـكتتْ، وقالتْ في نفسـها: كـم هي مسـكينةٌ ميمـي! لا تعرفُ سـوى التَّذمُّـر.

ومضـتِ الأيـامُ، وميمـي دائمـةُ السُّـخرية مـن لولـو التـي بهتْ لونُــها، واختلفَ شكلُــها.

ذاتَ مـرّة، بعـدَ أن فَـرَغَتِ الأُسرةُ مـن تنـاوُلِ السمك أحبّـت الابنةُ الصغـيرة مُسـاعدةَ أمِّــها، ولأنّــها غـيرُ خبـيرةٍ بشؤون المطبـخ تناولتْ الإسـفنجةَ ميمـي، وبـدأتْ تُزيـلُ بقايـا السـمك، فصرخـتْ ميمـي: أنـتِ أيتهـا الصغـيرة! أنـا لسـتُ لإزالـة البقايـا. مـا هـذه الرائحـة؟ انتبهـي!

لكنَّ الابنةَ لا تعرفُ لُغةَ الإسفنج، فتابعتْ عملَـها.

في المسـاء، بعـدَ وجبـةِ البيـض المقلـيّ، بـدأتِ الأمُّ عملَهـا، ففُوجئـتْ برائحـة ميمـي، وأدركـتِ الخطـأَ الـذي ارتكبَتْـهُ ابنتُــها،



فأمسكَتْها، وراحتْ تُزيلُ بقايا البيض، فصرختْ ميمي: أعديني إلى مكاني أيّتُها الأمّ! عطري فوّاحٌ، وسأبقى جميلة.

أكملتِ الأمُّ العمل، فأحضرتْ إسفنجةً جديدةً صفراء اسمُها دادو، وملأتْها بالرغوة المُعطّرة، ونظّفتِ الصُّحون، ثمّ وضعتها قُربَ ميمي، ورمتْ لولو في سلّةِ إعادة التدوير، فقالتْ لولو: إلى اللقاء يا ميمي!

قالت ميمي: مُحالٌ أن نلتقي. سلّةُ التدوير لا تليقُ بي.

ابتسمتْ لولو بصمت، وغفتْ في مسكنِها الجديد.

قالت ميمي لجارتِها الجديدة: أعلمُ أنكِ تسخرينَ منّي ومن رائحتي.

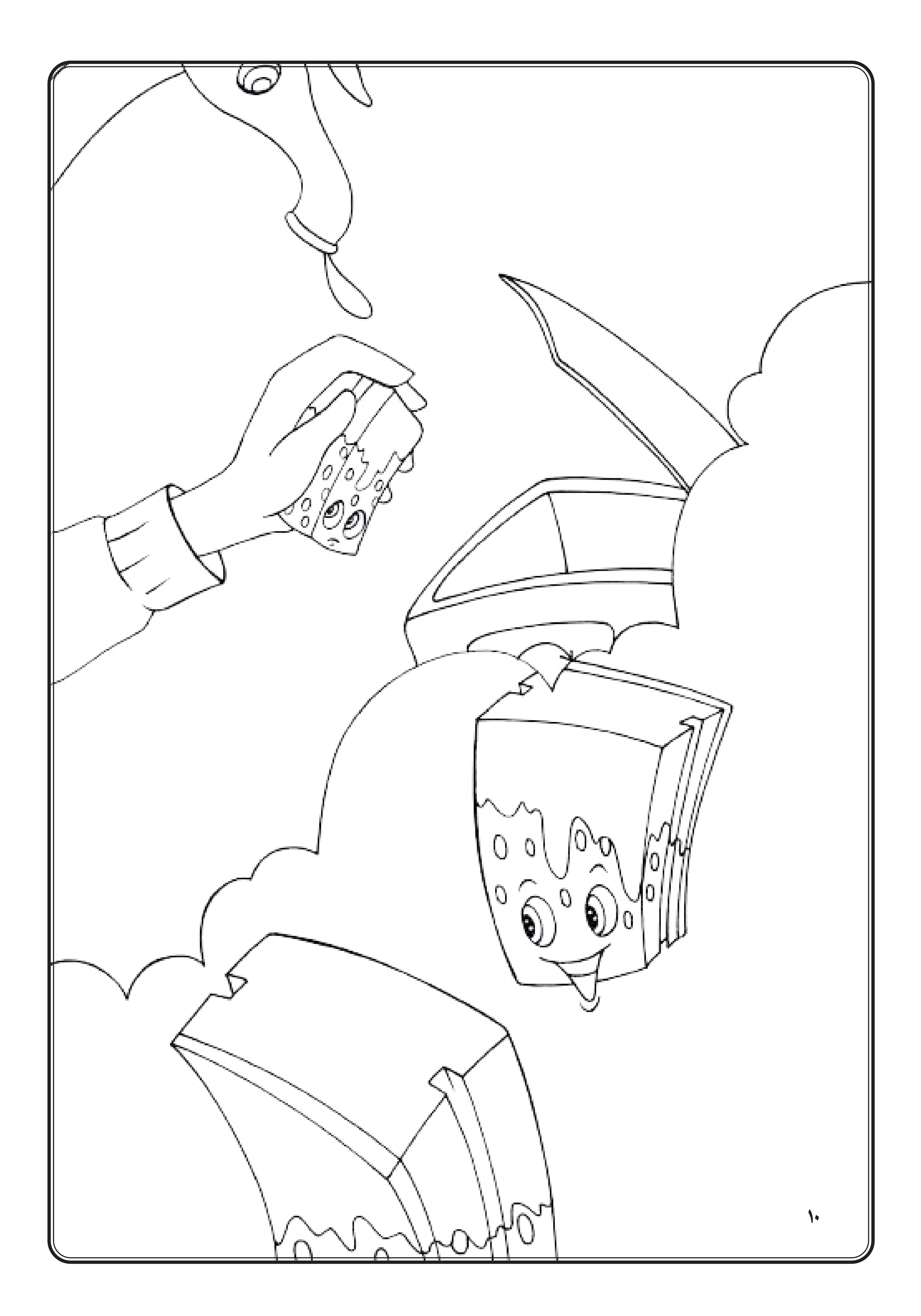
ردّتْ دادو: ولماذا أفعلُ ذلك؟ إنها طبيعةُ عملِك.

سألتْ ميمي: ماذا؟ ألا تُزعِجُكِ رائحةُ الطعام؟ البيض مثلاً؟!

أجابت دادو: البيض؟! ألا تعلمينَ كم هو مفيدٌ وضروريٌّ لنُموِّ الأطفال؟ أرأيتِ كيفَ أكلُوهُ بشهيّة؟

قالت ميمي: حسناً، ورائحةُ الحليب؟

قالت دادو: الحليب؟! لا، لا، أنتِ غيرُ معقولةٍ يا ميمي! ما أجملَ منظرَ الأولاد، وهم يشربونَ الحليب! لماذا تُفكّرينَ هكذا يا عزيزتي؟! يجبُ أن نكونَ سُعداءَ حينَ نقومُ بعملِنا. ألا ترينَ كم الصُّحون نظيفة؟! إنّ ذلكَ بسَبَبِنا أنا وأنت. كلانا عملُها ناقصٌ دُونَ الأُخرى، ثمّ لا تنسي أنني بعدَ مُدّةٍ سأشغلُ مكانَك.



قالت ميمي: كم أنتِ لطيفةٌ يا دادو!

وراحتْ تُخاطبُ نفسَها: كم كنتُ إسفنجةً حمقاء! كم أزعجتُ لولو، وسخرتُ منها! هذا جزائي.

ومرّتِ الأيامُ، وحالُ ميمي يزدادُ سوءاً، ودادو تُخفِّفُ عنها، وتَشكرُها لجهودِها دونَ أن تعلمَ أنّ كلماتها هذه تزيدُ من تعاستِها وحُزنِها.

بعدَ مُدّة، وفي حين كانت الأمُّ تَتهيّأُ للجلي، تأمّلتْ ميمي، ثمّ ألقتْ بها في سلّةِ التدوير، فقالت: شكراً لك يا دادو! لقد تعلّمتُ منكِ درساً مُهمّاً.

قالت دادو: إلى اللقاء يا صديقتي! سنلتقي بعدَ حين.

وابتلعتِ السلّةُ ميمي وصوتَها، وارتمتْ فوقَ لولو، وعانقَتْها قائلةً: سامحيني يا صديقتي! لقد أخطأتُ في حقِّك كثيراً.

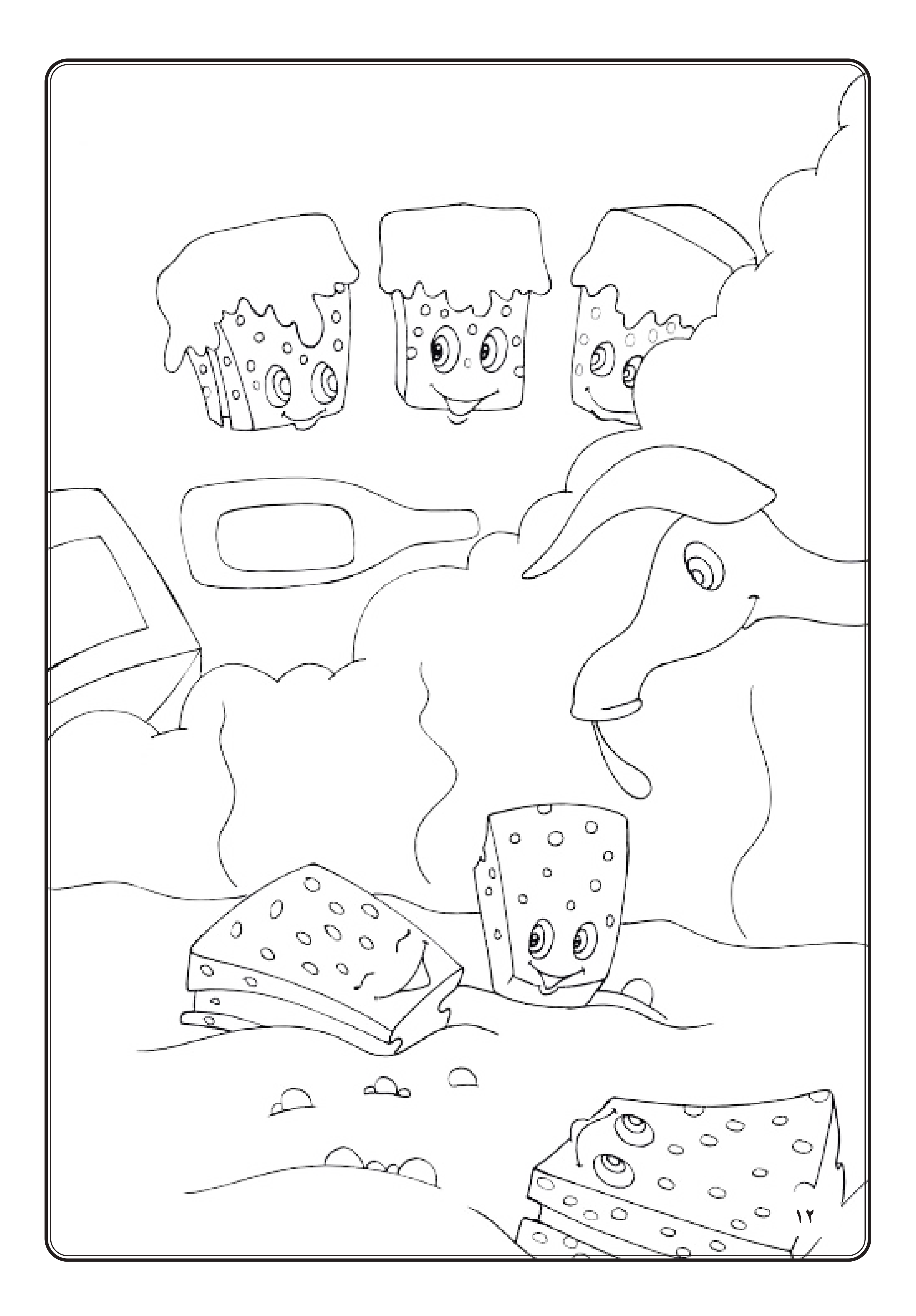
قالت لولو: لا عليك. لا تزالُ الفُرصةُ أمامَنا لنعيشَ في وئام، أمّا الآن فعلينا أن ننتظرَ دادو لنبدأَ مرحلةً جديدة.

ونامتْ ميمي ولولو مُتعانِقتَين.

بعدَ شهرَين، اصطدَمتْ دادو بميمي ولولو لمّا ألقتْ بها الأمُّ في السلّة، واكتشفتِ الإسفنجاتُ الثّلاث أنّها أصبحتْ مُتماثلةً تقريباً برائحتها وشكلِها المُهترئ ولونها الباهت.

ضحكتْ ميمي، وقالت: لقد كَبِرْنا يا صديقتي!

قالت لولو: أجل، لقد هَرِمْنا. يا تُرى ماذا يُمكنُ أن يفعلوا



بإسفنجاتٍ هَرِمَة؟ لقد مللتُ وجودي في هذه السلّةِ المُعتِمَة. أرجو ألّا يطول انتظارُنا أكثر.

قالتْ ميمي: أنا أيضاً أشعرُ بالاختناق. أعتقدُ أنّ مصيرَنا بعدَ هذا الانتظار الطويل سيكونُ سلّةَ القمامة.

قالت دادو: لا، لا، إنّ الأمَّ ذاتُ أصابع سحريّة. أنا أعرفُها جيّداً، وأثقُ بها.

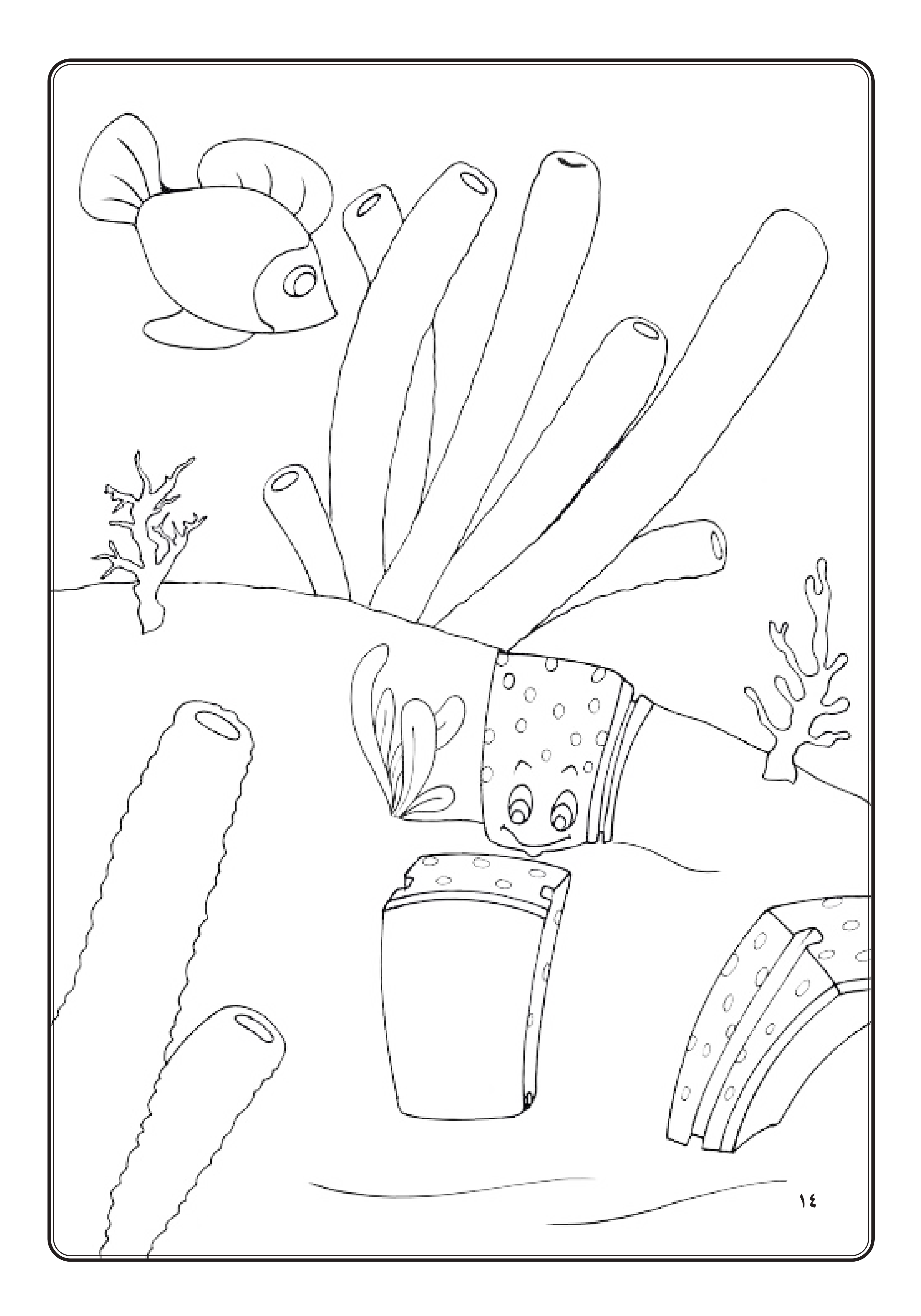
قالت لولو: وأنا كذلك.

وبينما كانت الإسفنجاتُ تُحاولُ أن تُخمِّنَ مصيرَها النِّهائيّ، أخرجتْها الأمُّ من سلّة التدوير، وأسقطَتْها في وعاءٍ مملوءٍ بالماء المغليّ، ورشّتْ فوقَها مسحوقَ الغسيل المُعطّر، فتشكّلتْ رغوةٌ كبيرةٌ فوّاحة. صاحت ميمي: يا للروعة! إنني أغوصُ في بحرٍ من الرغوة المُنعشة. كم اشتقتُ إلى هذه الرائحة!

قالت لولو: أيُّ تيّارٍ هذا الذي يُحرِّكُنا؟! شيءٌ ما يدفعُني في الاتّجاهات كُلِّها. ها هي ذي الشّوائبُ تُغادرُ ثُقوبي ومسامّي. أشعرُ بأنني أخفُّ وزناً وأكثرُ رشاقة. لقد أصبحتُ نظيفةً تماماً. يا سلام!

قالت دادو، وهي تتمايل: ليسَ الشّوائب فحسب. أشعرُ أيضاً بأنّ ما تبقّى من لوني يُغادرُني أيضاً. ما هذا؟ إننا نتحوّلُ إلى اللون الأبيض. كم هذا رائع!

قالت لولو: أشعرُ بأنني أتمدّد. هل سنتحوّلُ إلى أسماكٍ يا تُرى؟



ردّتْ ميمـي: أنـا أكـرهُ السـمكَ ورائـحـتَهُ، لكنّنـي أحـبُّ اللـونَ الأبيـض.

قالـت دادو: أعتقـدُ أنّ التّـمدُّدَ بسـبب الحـرارة، فنحـنُ في النهايـة لسـنا سـوى خليطٍ مـن مـوادّ كيميائيّـة تُذوِّبُهـا الحـرارة.

قالـتْ لولـو: خليـط؟! ألسـنا مأخـوذاتٍ مـن نبـاتِ الإسـفنج البحـريّ؟! كـم أحـنُّ إلى موطنـي هُنـاكَ في البـحار! أذكـرُ يـومَ كنّـا كُتلـةً كبـيرةً مُلتصقـةً بالصخـور، تَغمرُنـا ميـاهُ البحـر المـالحة، وتُداعبُنـا الأسـماك.

قالت ميمي: يا لتَخـيُّلاتِـكِ يا لولو!

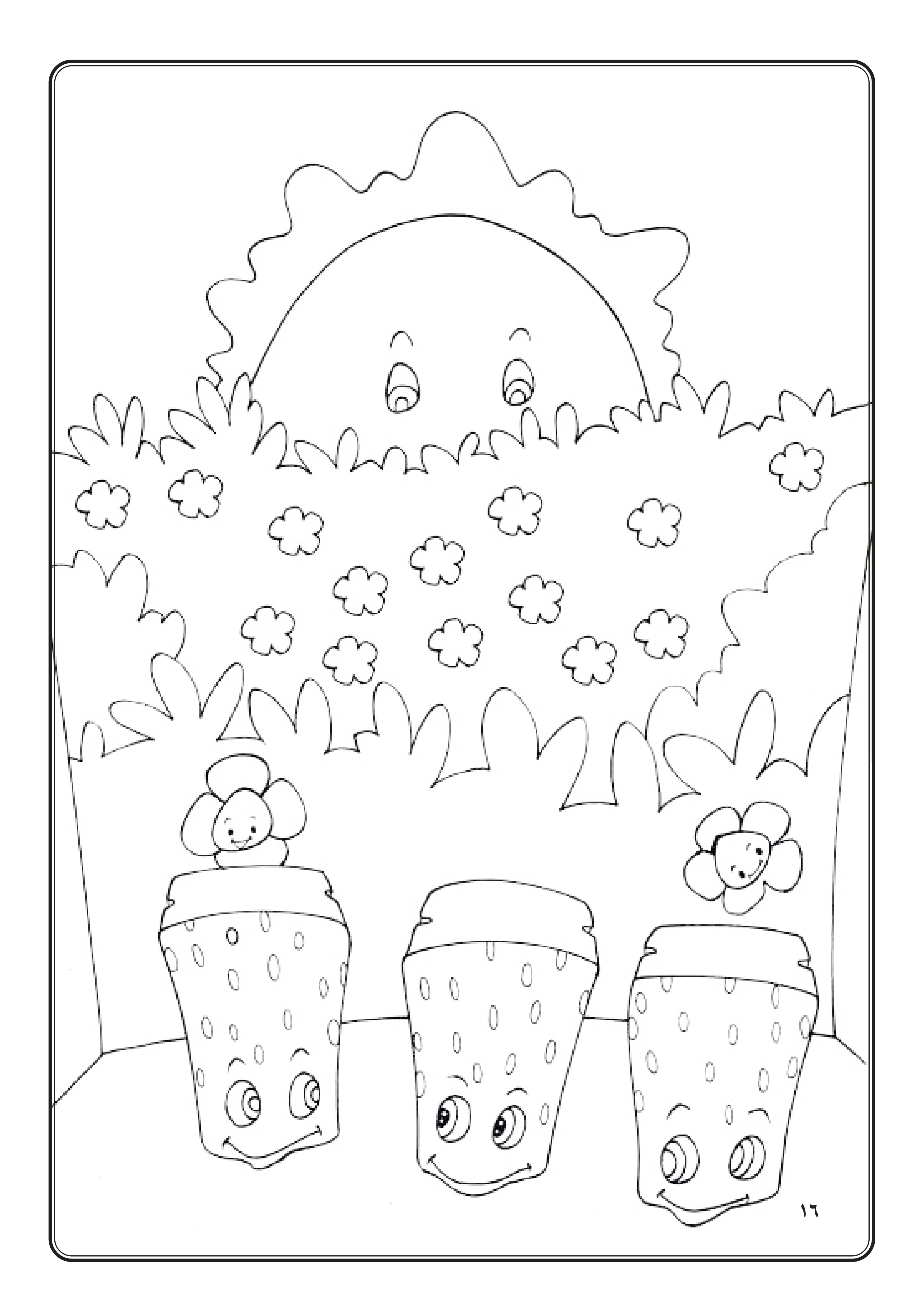
قالـت دادو: اسـمعيني جيّـداً يـا لولـو! لـو كُـنّـا إسـفنجاً بحريّـاً لكانـتْ لنـا قدرةٌ عـلى التّـجدُّد، ولعَـوَّضْنا أجزاءَنا الـمُهترئة، ثـمّ إنّ الإسـفنجَ البحـريّ هـو حيـوانٌ، وليـسَ نباتـاً، لكنّنـا...

هُنـا قاطعَـتْـها ميمـي بدهشـةٍ واسـتهجان: هـل نحـنُ مـن أصـلٍ حيوانـيّ؟!

قالـت دادو: نحنُ لسـنا سـوى إسـفنجاتٍ صناعيّـة، وُلِـدْنا في معمل صناعـة الإسـفنج يـا ميمي!

قالـت لولـو، وهـي تشـعرُ بالـخيبة: أحقّـاً هـذا؟ كـم أحـنُّ إلى معمـل الإسـفنج!

قالـت ميمـي: كـم أنـتِ مسـكينةٌ يـا لولـو! لقـد قضيـتِ وقتـاً طويـلاً وحيـدةً في هـذه السـلّة، فـصرتِ تتـخيّلينَ كثيراً مـن الأشـياء.



فجـأةً، أخرجـتِ الأمُّ الإسـفنجات مـن الوعـاء، غـيرَ مُدركـةٍ مـا يـدورُ فيهِ من نقاشـات، ثـمّ وضعَـتْـها تحتَ صنبـور الـمـاء البارد، فانطلقـتِ الصّيحـاتُ والضّحـكات: أح أح... إننـا نتقلّـص! أح أح...

قالـت دادو: حقـاً نحتـاجُ إلى حـمّـامٍ بـارد بعـدَ ذلـك الـحـمّـام السَّـاخن.

عـصَرتِ الأمُّ الإسـفنجات بيدَيهـا، فقالـت لولـو: كـم اشـتقتُ إلى يديكِ أيّـتُها الأمّ!

ثـمّ وضعَـتْـها على حافة النافذة تحتَ أشعّةِ الشمس لتَـجفّ.

تأمّلـتْ لولـو الدُّنيـا حولَـها: مـا أجمـلَ الضِّيـاء! لقـد تعبـتْ عينايَ مـن الظُّلمة. عانقيني أيّـتُـها الشـمس! ادخُلْ أيُّـها الضوءُ تـجاويفي كُـلّها!

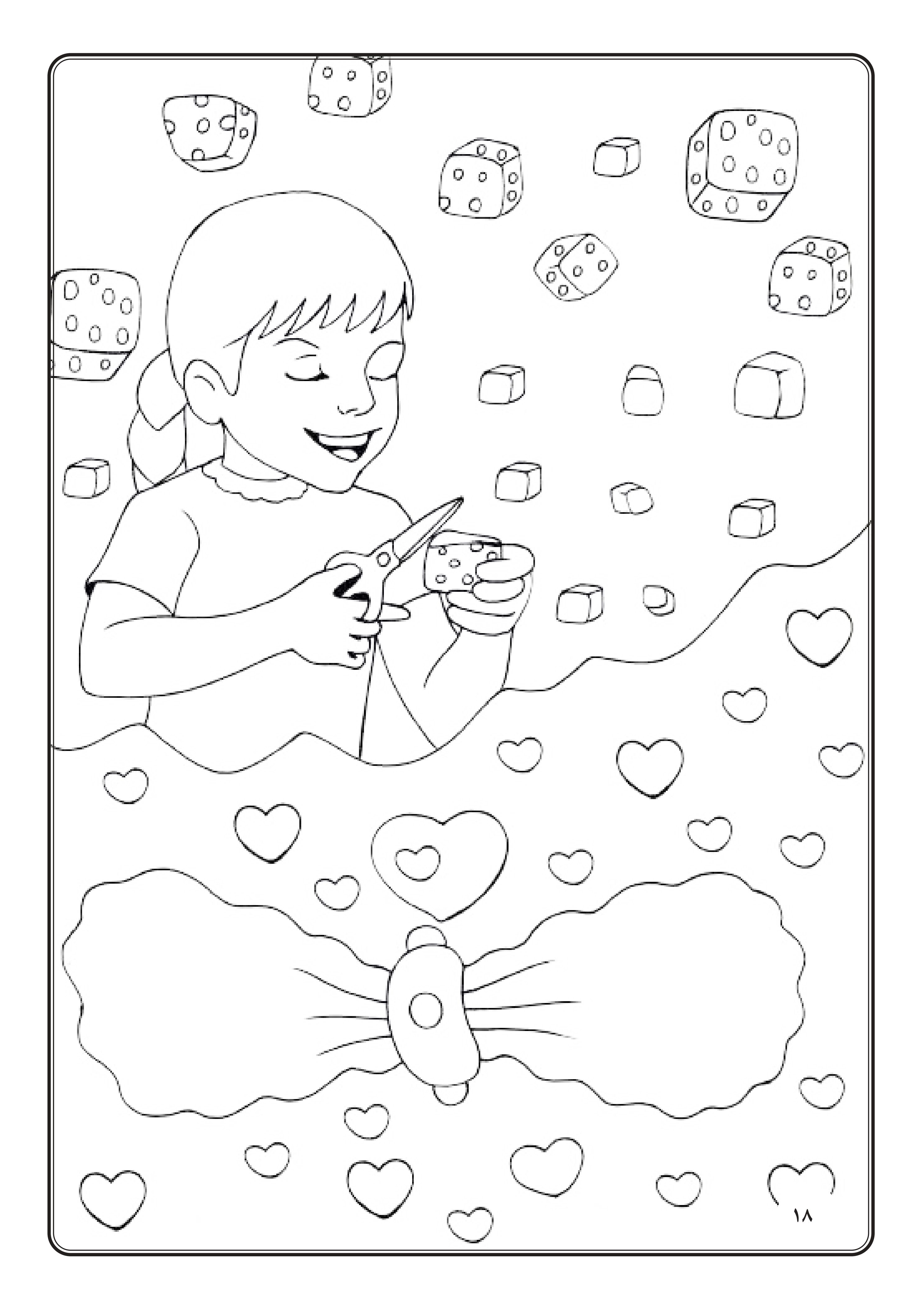
تنفّسـتْ ميمـي بعُمـق، وقالت، وهي شـاردةٌ: أيُّـها الهواءُ النَّـقـيّ! داعـبْ وجهي، وانتشرْ في مسامّـي! خُذيني بعيداً أيّـتُـها الـرِّيح!

قالـت دادو: مهـلاً مهـلاً! إلى أيـنَ ستأخُـذُكِ الـرِّيحُ يـا ميمـي؟ نحـنُ سـنبقى معـاً.

واستفاقتْ ميمي من شُرودِها: بالتأكيد سنبقى معاً.

بعـدَ أيـام، جسّـتِ الأمُّ الإسـفنجات، فوجدَتْـها جافّـةً تمامـاً. أخذتْـها، وأحـضرتْ مقصّـاً وفُسـتاناً مُـخمليّاً أحمـرَ باليـاً لابنتِـها الصغـيرة.

قالتِ الصَّغيرةُ: ماذا ستفعلينَ بهذهِ الأشياء البالية يا أمّـي؟



أجابـت الأمُّ: سـترَينَ بعـدَ قليـل. هيـا سـاعديني، وقُـصّي الإسـفنجات إلى قطـع صغـيرة.

لـمّـا رأتْ ميمـي الـمقصَّ خافـتْ، وصرخـتْ: إنّـهُ مقـصٌّ! سـيُقطِّعُنا.

قالـت دادو: ولِـمَ أنـتِ خائفـة؟ حتّـى الإسـفنجُ البحـريُّ لا يخافُ، ولا يتألّـمُ بالقَطْـع، لأنّـهُ لا يحوي أيَّ أعصـاب، فما بالُـكِ بالإسـفنج الصِّناعـيّ؟

قالتْ لولو بـحماس: هيا نستعدّ للـمرحلة الجديدة!

قصّـتِ الصغـيرةُ الإسـفنجات، وجَـمعَـتْـها في كومـة، في حـينِ قصّـتِ الأمُّ قطعـةً مُسـتطيلةً مـن الفُسـتان، وحوّلَـتْـها إلى كيـس، أدخلـتْ فيـهِ كومـةَ الإسـفنج، ثـمّ خاطَتْـهُ، وزَمَّـتْهُ مـن مُـنتصَفِه، فتَشـكّلتْ فُـلّـةٌ مُـخـمليّةٌ حمـراء، ثـمّ زيّنَـتْها بثلاث حبّـاتٍ مـن اللؤلـؤ الأبيـض، وعلّقَـتْها عـلى بـاب الـمطبخ.

سألتِ الصّغيرة: ماذا نُسمّـي الفُـلّـةَ يا أمّـي؟

انطلقَ صوتٌ من داخل الفُـلّة: ميمي، لولو، دادو... «ميلودا».

ردّدَتِ الصّغيرة: «ميلودا».

قالتِ الأمُّ: «ميلودا» اسمٌ غريبٌ، لكنّهُ جميل.

عـلى ذلـكَ البـاب، كانـتِ الفُـلّـةُ تتألّـقُ دائـماً، وتنبعـثُ منهـا نسـماتُ الـمـحبّةِ والوئـام.

من إصدارات الهيئة العامّة السوريّة للكتاب
شهر حزيران ٢٠٢١م















www.syrbook.gov.sy
E-mail: syrbook.dg@gmail.com
هاتف: ٣٣٢٩٨١٥ - ٣٣٢٩٨١٦
مطابع الهيئة العامة السورية للكتاب - ٢٠٢١م

سعر النسخة ١٠٠ ل.س أو ما يعادلها